# شخصية غسّان
# اغنى من فنه

قد يكون غسان كنفاني ، واحد من قلة بين الفنانين ، الذين تظل شخصيتهم ، اغنى بكثير من عطاءاتهم ، برغم عظمة ما اعطوا وتعدد ذلك العطاء وتنوعه .

ان تعرف غسان عن قرب ، لأهم بكثير من ان تطلع على كل ما اعطاه ، قد يكون قولا غريبا ، ولكنه ، كاستثناء للقاعدة ، يصيب عين الحقيقة .

وفي الثامن من هذا الشهر ، تحل ذكرى غيابه السادسة ، ذلك الغياب المأساوي حيث ذهب واحد من ابرز الفنانين العرب ، ضحية للغدر الصهيوني وعلى الارض العربية .

## في شارع المعلوف

وفدنا معا الى لبنان ، الواحة التي طالما استظل وارف ظلالها الاخوة العرب ، كلما اجهدهم طويل السرى ، وكان اول لقاء لنا ، في غرفته المتواضعة، الكائنة في شارع معلوف ـ المصيطبة . وكانت لقاءات ، فمودة فاخاء ، فايمان بالقضية الواحدة والعمل في سبيلها حد الاستشهاد .

ولكنه سبقنا جميعا ، تجاوزنا جميعا .

اعطى بكثافة ، وحدة وعمق وتنوع وفيما يشبه اللهفة المستدعية للعطاء ، لكأن قدرا خفيا ، كان يحثه على اختصار الزمن ، يذكره انه وشيكا ما يرحل .

لقد ارعبت كلمته الاعداء البرابرة المتجلببين بجلابيب الحضارة الزائفة .

وحين لم يجدوا القدرة على مقارعة كلمة بكلمة ، لجأوا الى الغدر الخسيس ، فكان لهم ما ارادوا ، على المدى القريب ، ولكنهم نسوا ، ان الكلمة ـ الحقيقية يستحيل اغتيالها ، وانهم سيدفعون غاليا في المستقبل ، كلما قرأ قارىء ، شيئا لغسان او شاهد لوحة له .

## جائزة القصة

في العام ٩٦٣ اقامت مجلة « المعارف » ايامذاك ، مسابقة للقصة العربية، شارك فيها ٣٥٠ قاصا عربيا . وكانت لجنة الحكم مؤلفة من : سميرة عزام ، فؤاد كنعان وانعام الجندي ونال غسان الجائزة الاولى ، وطبع « السرير رقم ١٣ » ، كانت تلك الجائزة طريقا لغسان ، وهو الذي لم يكن بحاجة الى جوائز ليؤكد قيمته الادبية والفنية .

وانطلق يعمل في كل حدب وصوب ، في « الحرية » ، في « المحرر » الاسبوعية ، وفي « الانوار » وفي « الهدف » و « الدستور » . فيما بعد ... في كل مكان ، حتى يصعب عليك ان تلاحقه في تعدد مجالات نشاطاته .

صحافة ، نقد ، قصة ، رواية ، مسرح ، شعر ، ورسم وفي كل هذه المجالات كان المميز والمجلي .

الواقع ان غسان لم يكن يحب سوى حساب « مجموعة » من الامراض التي كان يشكو منها ، ولكنه يأبى ان يظهر ما يعاني منه . كانت ضحكته الدائمة ، وسخريته اللاذعة ، غطاء قشيبا ابدا ، يغطي على كل شيء ، ولا يستطيع استشفافه سوى قلة من الصحب والخلص .

كان يعاني من السكر ، الذي يجب ان يتناول ادوية معقدة له ، فان زادت النسبة او نقصت كان لهذه الزيادة او النقصان كل الخطر على حياته .

وكان يعاني من نوع من النقرس ايضا ، ناهيك عن « مجموعة » الامراض، التي تتوزع انحاء جسده ، الناحل .

## توهج طويلا فانفجر

كانت سرعته في العطاء ، دون ان يفقد نكهته الخاصة والعمق الملازمين لذاك العطاء ، تذهل كل اصدقائه وزملائه في المهنة او الادب .

كانت حالة من الاحتراق والتوقد ، تتأجج في الاعماق ، والانامل المعطاء ، ولم يكن يعرف للتوقف ، لالتقاط الانفاس معنى .

والحديث يطول ، والذكريات اغنى من ان ينضب لها معين فلنتوقف عند احدى محطاته الكثيرة الغنى .

## غسان الريشة والالوان

كثيرا ما كنا نفاجأ ، حين يكون عليه ان يصنع لوحة ، او رسما مع كلمة او مقال او حتى غلاف كتاب او مجلة ، ولا يجد رساما قريبا منه ، انه يقوم هو برسم « ما يلزم » .

« فهمنا ، قصة ونقد وصحافة واحيانا شعر ، رسم كمان » .. ولم تكن تجيبنا سوى ضحكته الدائمة او تعليقاته اللاذعة المفعمة بروح المحبة . ومع الايام ، ازدادت حاجاتنا ، حين اكتشفنا ، ان الرسم بالنسبة اليه ، ليس

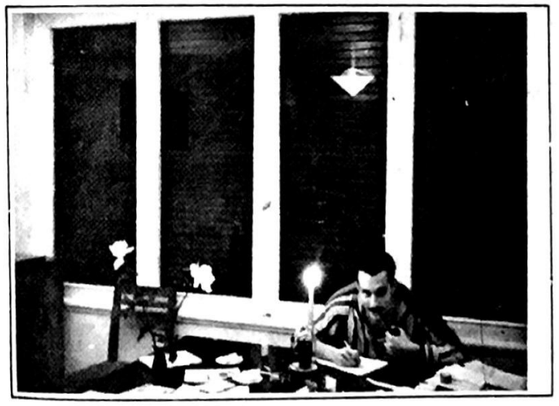

مجرد هواية ، او ملء للفراغ ، انه يرسم بجدية وعمق ، كما كان في كل اعماله ، ولكنه في نوع من التهيئة والتحضير لشيء اوسع وأكبر ، في حدود وعيه ، كان لا يعلن ، او لا يهتم بالاعلان عن هذا الجانب فيه .

من يعرف شيئا عن حياة غسان ، لا بد له وان يتساءل من اين له الوقت، لينصرف الى الرسم ، ايضا ، خاصة وان اعماله في هذا المجال ، تحتاج الى طويل صبر وجلد ومعاناة ، ولكنه ، حتى في مجال الريشة والالوان اعطى تماما ، كما عودنا على العطاء في مجالات الكلمة والنضال .

اين هي اعماله الكاملة ، لوحاته جميعا ؟ الواقع انها موزعة على الاصدقاء .

## دعوة لجمع اعماله

اننا هنا ، ندعو اولئك الاصدقاء ، لجمع ما لديهم وتقديمه الى جمعية غسان كنفاني ، التي اهتمت خلال السنوات الماضية بنشر تراثه الادبي في اربع مجلدات ( الثالث لم يصدر ـ في ظروف الحرب ) والتي انشأت مجموعة من رياض الاطفال باسمه . فقد كانت الطفولة هاجسه وعزاءه الدائمين . كما اننا لا بد لنا وان نشكر لهذه المؤسسة ، طبعها لعدة لوحات وصلت اليها وتوزيعها .

ابرزها « فلسطين » ، زخرف يتجاوز حدود الزخرفة الى الايحاء .

مجموعة من الخيول ، التي يبدو انه حمل لمساتها من عيشه فترات في الصحراء .



« الشيخ » وهي عمل شديد الخصوصية ، فيه الحلم ، والغموض ،والسفر البعيد في اعماق الذات ، الماضي والمستقبل .

« نساء » ، وهي جانب من النكبة ، حملت الحزن الدفين ، قائما حقيقيا، الى جانب نوع من الاصرار ، المأساوي على متابعة الطريق ، الازرق المشف ، فيه الكثير من شفافية الفنان ، والابيض ، الذي يوحي بلقائه بالازرق بالكثير من التصميم والحزن معا ، وتبقى الوجوه النابعة من قلب العتم ، لتؤكد على انسانية الانسان العربي الفلسطيني .

اما اهم اعماله فهي « عنتر » التي اعطانا فيها ، كل ما في الصحراء من قوة وقوة وابعاد . وقدم الياعنتر فيها ، غير ما عرفناه في كل العطاءات الاخرى . انه الفارس القادم من الماضي السحيق ، من اعماق الاسطورة ، ليصنع المستقبل ، يحدد معالمه الاكيدة والنبيلة .

وفيها ، حتى على الصعيد الفني ، اشارات ، لو طالت فسحة الزمن قليلا ، لكانت اكثر من اضواء كاشفة على دروب الفن التشكيلي .

هل نبالغ ، وهل نكتب ما نكتبه ، بتأثير حزننا على صديق راحل ، وشعورنا بالفراغ الكبير الذي تركه .

ربما ، انما نحاول ان لا نقع تحت هذه التأثيرات ، الموجودة فعلا .

## الكف الراحلة

يوم الفاجعة ، بحث رفاقه واصدقاؤه طويلا ، عن قطع جسده الغالي ، وجدوها جميعا ، سوى كفه التي كانت الاكثر عطاء .

مر وقت طويل ، حتى وجدوها ، بعيدا عن مكان الانفجار لكأنها تلك الكف ، تمردت على واقع الغياب ، احبت ان تتابع رحلتها ، كفرس شاردة في صحراء العصر ..

او ، لكأن هذه الحادثة بالذات ، كانت المؤشر ، الى الاسباب الحقيقية الكامنة وراء اغتياله .

لكأن تلك اليد ، ارادت ان تؤكد ان الاعداء لم يخافوا اي شيء اخر ، كما خافوها .

فيها كتب ورسم وخط اولى كلمات الخلود في سفر حياته الرائعة ، البالغة العطاء ...

**عاصم الجندي**

عن جريدة
« اللواء » اللبنانية

# الموت المدّوي

كان يشد وجهه مع وخز ابرة الانسولين في يده ،ويتطلع الى صورته ميتا في الحائط ـ المرآة . في سباق مع الموت كان غسان كنفاني ، والموت المنتظر مع ارتفاع نسبة السكر في دمه اتاه من طريق مفاجئة ، طريق الانفجار .

وتشيخوف الذي كان مريضا بالسل ، كثف نتاجه القصصي حتى بلغ حوالي خمسمئة اثر من احجام مختلفة ، كذلك غسان كنفاني المتسابق الاخر مع الموت واجه المصير القريب بنشاطات متعددة : نتاج ادبي غزير ، وكتابة صحفية تقارب الادب ، وريادة الشأن الاعلامي الفلسطيني في شتى وجوهه الادبية والتشكيلية والسياسية والانسانية .

محبا للحياة ، يعب منها حتى الجمام ويعطيها دمه المفصود وشعلة عقله المتألقة ، والحياة عنده اخذ وعطاء ، حركة للوجود الحقيقي تتفاعل مع الواقع وتشد اوتار اهدافها الى الشأن المصيري .

هذا الذي توقع لنفسه موتا مبكرا كان له هذا الموت ،وانفجار جسده في تلة من لبنان كان نذيرا اوليا بالفاجعة الاتية ، لقد كانت بيروت المشرعة بلا حساب قاتلته لتكون من بعد مقتولة كبيرة لهمه الكبير ، وبيروت التي احب والتي كانت مهمازا لهمه الخاص والعام ، تراءت اليوم اشلاء . لو يعود غسان لتألم لها مثلما يتألم لفلسطين ، وتمنى حكمة ما تمنع عنها فعل القتل والانتحار .

اديبا واعدا ، ومؤسسا للنثر الفلسطيني الحديث ـ على حد قول محمود درويش ـ ، هذا هو غسان كنفاني ، لكن السياسة لبسته ولبسها ، انها قدره كفلسطيني وهي التي جعلته يطرق باب الدراسات ليكتب « في الادب الصهيوني » .

قدره كفلسطيني جعله ، فترة يراوح بين موقع ممتاز في صحافة لبنانية متألقة ، وبين موقع جارح في اعلام فلسطيني مناضل ، لقد اختار غسان الموقع الثاني ليكون له تمام الانسجام مع روح وثابة وجسد يستعد للرقاد الاخير .

بيد ان حضوره في الاوساط اللبنانية كان مستمرا ، ولقد اتخذ غسان منه وسيلة لتقديم الفنانين الناشئين وتشجيعهم ، واكثر من مرة واحدة ، كان يشاهد متأبطا ذراع هذا الاديب او تلك الرسامة يجد لكل منهما محط اطلالة في صحيفة او في صالة لعرض الفنون التشكيلية .

مبتدأه كان الفوز في مسابقة للقصة القصيرة التي اجرتها مجلة « المعارف » اللبنانية عام ١٩٦١ ، وكان عنوان قصته « الصقر » .

ومنذ ذلك التاريخ تناسلت عوالم القصة عنده لتصور عوالم الفلسطينيين في تهويماتهم ، فوق الخريطة العربية ، وكانيلمس في كل قصة يكتبها الجرح الفلسطيني الخاص : الوطن والكرامة في الوطن .

تزوج غسان كنفاني من يسارية دانماركية ، وشهدت علاقته معها البعد العالمي للشخصية الفلسطينية المناضلة هذا البعد الذي حقق في ما بعد نجاحات سياسية لا شك فيها .

بيد ان العلاقة الشرقية العائلية كانت تشد غسان بابنة اخته لميس ، وفي الرسائل التي كان يوجهها لها تقرأ محبة فلسطين وترابها وانسانها ، وتقرأ قبس التفاؤل بالمستقبل .

غسان كنفاني الذي كان ينتظر الموت عن طريق ارتفاع نسبة السكر في الدم ، اتاه انفجارا ، ولقد كان موته مدويا ورائدا لانماط الموت الصارخة التي شهدتها بيروت القاتلة والقنبلة .

وفي كل عام تأتي الذكرى ، وتتأكد الافكار ويأتي الحث ان يبحث كل عن موقعه وان يرسم كل موته المدوي لكي تنبجس الحياة نافورة ماء لامع يضيئها نور الشمس الزاهي .

**محمد فرحات**

« عن السفير »
٩-٧-١٩٧٨